

القيم الاجتماعية والتراثية لألعاب الأطفال الشعبية نماذج من ولاية غليزان.

Social and traditional values of popular children's games, .Models from the state of Relizane

سكومي فاطيمة، أستاذة بحث المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، الجزائر
1.f.skoumi@gmail.com

تاريخ النشر: 2021-12-31

تاريخ الإرسال: 2021-10-17

ملخص:

كانت ولا تزال ألعاب الأطفال الشعبية طيلة التاريخ الاجتماعي مرافقة للحياة الانسانية، فساهمت الى جانب ما توفره من متعة وتسلية في التنمية البدنية والفكرية والنفسية والاجتماعية والسلوكية والوجدانية للطفل، بوصفه فاعل اجتماعي وباعتبار اللعب وسط اجتماعي يتعلم من خلاله ثقافة المجتمع وتتكون وسطه شخصيته المندمجة مع الجماعة. ونظرا لطابعها التراثي أيضا فهي جزء لا يتجزأ من الموروث الثقافي للمجتمعات والتي تعد الجزائر من أكثر الدول الحريضة على المحافظة عليه، فهي تزرخ بعدد وافر من هذه الألعاب حتى وان اختفى معظمها الآن، مما جعل هذا النوع من التراث ينكمش الى حد الانقراض. وقد جاء هذا المقال لينفض الغبار عن بعض هذه الألعاب وعن أهمية الدور الاجتماعي والتراثي الذي كانت تلعبه في تنمية المجتمع.

الكلمات المفتاحية: لعب، ألعاب شعبية، تراث، موروث شعبي، قيم اجتماعية.

¹ المؤلف المرسل

Abstract:

Throughout social history, popular children's games have been and continue to accompany human life. In addition to the fun and entertainment they provide, they have contributed to the physical, intellectual, psychological, social, behavioral and emotional development of the child, as a social actor, and given that playing is a social medium through which he learns the culture of the community and forms his personality integrated with the group. And due to its heritage also, it is an integral part of the cultural heritage of societies, which Algeria is one of the countries most keen to preserve. The article is to dust off some of these games and the importance of the social and heritage role they played in the development of society.

Keywords: Play, folk games, heritage, folklore, social values.

مقدمة:

لا يخلوا أي مجتمع انساني مهما كان تكوينه البنائي والوظيفي من ظاهرة "اللعب" وما يتعلق بها من "العباب" إذ تعتبر جزء من ثقافته ومن موروثه الشعبي، الذي يشمل بدوره عادات الناس وتقاليدهم، وما يعبرون عنه من آراء وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلا عن جيل، وهو استمرار للفلكلور الشعبي كالحكايات الشعبية والاشعار والقصائد المتغنى بها والقصص الشعبية والأساطير، وعلى الفنون والحرف وأنواع الرقص والأغاني وقصص الأطفال، والأمثال والألغاز... وهذا الشق اللامادي من التراث هو ما يخلد ذاكرة الوطن وهويته وعراقته، لأنه يرتبط بالمأثورات الشعبية والممارسات الاجتماعية.

كما يعد اللعب ظاهرة من الظواهر الاجتماعية نشأت كضرورة لإتمام عملية التفاعل الاجتماعي، عرفتها جميع المجتمعات وتناقلتها، هي تعود إلى عصور قديمة ف" قد لازمت اللعبة الانسان منذ العصور الأولى للتاريخ، إذ وجد علماء الأنثروبولوجيا في مصر (الدمية) (العروسة) وقد وجدت في العصر الفرعوني وما زالت توجد حتى الآن" (نخلة، 2008، صفحة 47)، وحتى مملكة الحيوان عرفت ظاهرة اللعب، فكثيرا ما نرى صغار الحيوانات تقوم بحركات غريزية أقرب ما تكون إلى اللعب....

ويعتبر اللعب الشعبي من الأنشطة التي ابتدعها الانسان ونظّم لها قواعد أتفق عليها فيما بعد، لتكون أداة من أدوات الاستمتاع والتسليّة ولدفع السأم والرتابة عن حياته ف"اللعب هو استعداد فطري وطبيعي عند الطفل وهو وظيفة الطفل في مرحلة الطفولة وضرورة من ضرورات الحياة كالأكل والنوم" (نخلة، 2012، صفحة 88)، لذلك هو جدّ مهم في المراحل العمرية الأولى خاصة، إذ يُعتبر طريقاً لبناء شخصية الطفل وتطويرها، من خلال إبراز قدراته ومهاراته. كما يعد اللعب مؤشراً مهماً يخبر الآباء بالكثير عن أبنائهم، ماذا يفكرون وماذا يحبون، وإلى ماذا يميلون، ما يزعجهم وما يفرحهم أيضاً. وهو ما يُبرز لنا دور وأهمية اللعب في علم النفس لدى الطفل. حتى أنه استخدم كعلاج نفسي في بعض الحالات التي يمر بها الأطفال مثل: الصدمات النفسية، فقدان، الغضب وغيرها من الأحاسيس التي يصعب على الطفل التعبير عنها.

كما أن هذه الألعاب لم تبقى على حالها بل تنامت وفق الحاجات المجتمعية، واعتراها الكثير من التطور الذي رافق سلوك الانسان عامة، بعدما رجع الفضل كلياً في تنظيمها الى تقليد اجتماعي تناقلته الأجيال، لذلك شغلت جزءاً من تراث مجتمعتها فساهمت في مجموع نشاطاته هادفة للترفيه والترويح عن النفس، اضافة الى أنها ليست مجرد وسيلة للهو وقضاء وقت الفراغ وانما تحمل الكثير من المعاني والقيم والأهداف المجتمعية العميقة.

والجزائر التي لا تزخر بتنوعها الجغرافي الطبيعي فقط وانما غنية بتنوعها الثقافي أيضاً، عرفت ظاهرة الألعاب الشعبية منذ عقود، رافقت أطفالها جيل بعد جيل مساهمة في اغناء تراثها الشعبي من خلال ترسيخ القيم والسلوكيات الاجتماعية، لذلك يُعد "اللعب الشعبي تقليد اجتماعي يتناقله الاجيال جيلا بعد جيل وهو أداء يمارسه الأطفال في الهواي الطلق وفي الشوارع والحارات والساحات العامة والحقول وأمام المنازل" (محسن، 2010، صفحة 28). إضافة الى الفوائد الكثيرة التي تعود على الطفل ذاته، فمن خلال اشتراك الطفل مع زملائه في اللعب تُبنى الأدوار وتُنظّم ردود الأفعال خاصة في علاقة الأطفال بالكهول حيث "يتمكن الطفل بانخراطه في اللعبة من تطوير قدراته وصقل مواهبه وتأكيد ذاته، لأنه لا يرتاد فقط عالم الأشياء في زمن اللعب وانما يتعرف في ذات الوقت على ردود أفعال الآخرين نحوه، وبذلك يكتشف الأسلوب المناسب لبناء المواقف وبناء العلاقات الاجتماعية" (هاغلار، 1999، صفحة 64) وقد مورست هذه الألعاب بطرق مختلفة، فكانت فردية (ناذرا) أو زوجية أو جماعية، بعضها ذهنية وأخرى حركية ومنها ما تستعمل فيها أدوات كالكرات والعصي والحصى والحبال وغيرها.

أما أمكنة ممارسة هذه الألعاب فليست محددة، إذ يمكن ممارستها في أي مكان يصلح لذلك وغالبا ما كانت في الشوارع والساحات القريبة من منازل الأطفال، ويمكن أن تكون في الصباح أو في

المساء، ومنها ما يصلح للجنسين، ومنها ما يحتاج إلى قوة، ومنها ما هو ضرب من التسلية وإضاعة الوقت فقط، ومنها ما لا يهض إلا بالغناء أو الرقص، كما أن ثمة ألعابا موسمية ترافق فصول السنة أو المناسبات المحلية. كما تتفاوت أنماط اللعب في الجزائر أيضا، فبعض ألعاب الريف تختلف عن ألعاب المدينة، وقد تتشابه بعضها في العديد من المناطق حتى وإن اختلفت تسمياتها، وتظهر بعض الفروقات الناجمة عن بيئات كل منطقة وعاداتها فتختلف من حيث الشكل والمضمون وطريقة الأداء، لكن العنصر المشترك هي أنها جزء مهم في عالم الطفل وتنشئته الاجتماعية.

كما تحوز أيضا على عدد وافر من الألعاب التراثية التي تنمي قدرات الطفل الذهنية والحركية، وتجسد روح التعاون والألفة والتواصل بين الجماعة، ومن المؤكد أنه توجد بها عشرين الألعاب الشعبية المتوارثة في المدن والقرى والجبال والبوادي، كانت لوقت قريب تدخل ضمن أسس الحياة الاجتماعية وكانت تمثل التسلية الوحيدة للأطفال في الماضي نظرا لانعدام أماكن الترفيه وضعف الحالة المادية، غير أنهم كانوا يمشون أوقات جد ممتعة يفتقر لها أغلب أطفال العصر الحديث الذين يمارسون ألعابا أغلبها الكترونية، تتسم بالعنف وقلة الحركة واستنزاف للمال. فخلال العقدين الماضيين غابت معظم الألعاب التقليدية المتوارثة عن الأحياء الجزائرية وفرغت الشوارع والمساحات الخضراء التي كانت تعج بأصوات الأطفال وهم مجموعات مجموعات يمارسون مختلف الألعاب الشعبية، مع العلم أن أبرز ألعابهم كانت تُصنع يدويا وبمواد بسيطة ولكنها كانت تعتبر إنجازا ابداعيا يُسعد الطفل حين ينتهي من صنعها، وبسبب الشساعة الجغرافية للجزائر واختلاف أنماطها المعيشية والثقافية باختلاف مناطقها، تنوعت هذه الألعاب وتلونت مسمياتها، وفي أحيان كثيرة تنوعت مسميات نفس اللعبة من منطقة إلى أخرى، من هنا جاءت فكرة هذا المقال لتلقي الضوء على بعض هذه الألعاب التي أصبحت على وشك الانقراض في منطقة غليزان.

وغليزان هي ولاية جزائرية تقع غرب البلاد، على الخط الوطني رقم 04 الرابط بين الجزائر العاصمة ووهران، مما جعلها همزة وصل بين الغرب والوسط والشرق والجنوب، فهي بذلك تحتل موقع إستراتيجي ممتاز إقتصاديًا وتجاريًا، تبعد عن العاصمة بحوالي 350 كلم، معظمها أراضي فلاحية خصبة وبذلك تعتبر ولاية فلاحية.

وقع الاختيار على هذه الولاية باعتبار أن الباحثة كانت تنتمي إلى المنطقة المذكورة وعاشت فترة ازدهار نماذج عن الألعاب التراثية التي ستذكر تاليا، أما التساؤلات التي ستبحث فيها هذه الدراسة،

فهي تجمع بين رصد لبعض هذه الألعاب وللقيمة الاجتماعية والتراثية التي تحملها، وللمصير الذي ارتسمت معالمه فيما يخص هذا النوع من الألعاب.

استعنا بالمنهج الوصفي لإجراء هذا البحث، لأنه الأنسب لتولي وصف الألعاب المذكورة مع تنويه لقيمتها. أما الهدف العام من الدراسة فهو المساهمة في توثيق بعض الألعاب الشعبية مع الإشارة الى قيمتها الاجتماعية ومساهماتها في اغناء الموروث الشعبي.

1. نماذج عن ألعاب الأطفال الشعبية: سنستعرض في هذا الجزء نماذج من الألعاب الشعبية بمدينة غليزان وضواحيها مع ذكر تسميتها باللهاجة المحلية للمنطقة:

- "لعبة التيليفون"

"التيليفون" يعني الهاتف باللهاجة المحلية، تركز هذه اللعبة على أن يأتي الصبي بعلبتين فارغتين من علب المرى أو معجون الطماطم أو علب مشابهة، وبعد نزع جزئها العلوي يقب قاعهما بمسمار، ويصل ما بينهما بخيط طويل، يدخل طرفيه في كل من الفتحتين ويربطهما حتى لا يفلتا، ثم يقوم زميله باستلام احدى العلب ويتعد عنه بقدر طول الخيط ويمسك الأول بالعبة الأخرى ويبدأن بالتخاطب بهما فيصل الصوت الى كل منهما مسموعا. (هذه اللعبة كانت ولا تزال موجودة في الكثير من دول العالم).

- "لعبة الغميضة"

يضع الأطفال عصابة محكمة على عيني أحدهم في حين يتعد بقية اللاعبين، وتكون مهمة معصوب العينين البحث عن زملائه. وإذا تمكن من العثور على أحدهم والامسك به تنزع العصابة من عينيه ويأخذ الخاسر مكانه. (هذه اللعبة أيضا تُلعب في الكثير من دول العالم).

- "لعبة خازوني"

في اللهجة المحلية "خازوني" تعني الاختباء، أساس هذه اللعبة أن يُسند أحد اللاعبين رأسه قبالة الحائط وهو مغمض العينين ويبدأ بالعد في نفس الوقت الذي يبدأ فيه بقية الأطفال بالاختباء في أماكن متفرقة، وحين ينهي اللاعب العد يقوم بالبحث عنهم، وأول من يجده فهو الخاسر ويأخذ مكان اللاعب.

- "لعبة النييلي":

"النييلي" تحوير للكلمة الفرنسية "Les billes"، واللعبة هي مخصصة للأطفال، تلعب بكرات بلورية صغيرة الحجم، أين يقوم أحد الصبيان بحفر حفرة صغيرة في الأرض، يقف اللاعبون بعيدا عنها ليبدأ التصويب في الحفرة تباعا، ومن يتمكن من التهديف تكون له فرصة التصويب نحو كرات الآخرين وبإصابتها تصبح ملكا له.

- "لعبة قرد":

في مناطق أخرى من الجزائر تدعى "القريدة"، وهي لعبة مخصصة للفتيات، تركز على مهارة الرمي وخفة الحركة، تُستخدم فيها خمس حصوات، تجلس البنات صاحبة الدور على الأرض، وترمي أربع حصوات وتبقي واحدة في يدها تقذفها الى الأعلى في نفس الوقت الذي تلتقط فيه واحدة من الأرض، ثم اثنتين ثم ثلاثة ثم أربعة، ثم تجمع الخمس حصوات على ظهر الكف ثم تقذفها وتحاول جمعها بيدها مرة واحدة، وما تستطيع التقاطه يكون هو عدد علاماتها، وهكذا يكون الدور بين المشاركات في اللعبة. ومن شروطها عدم سقوط الحصوة المقذوفة عاليا الى الأرض اذ تعتبر حينها خاسرة وتأخذ زميلتها دورها، أحيانا تستخدم بذور فاكهة المشمش أو ما يسمى ب"الكعب" وهي عظام صغيرة من مفاصل الخروف.

- "لعبة لاماري":

هي لعبة تمارسها الفتيات، تتم برسم مستطيل كبير على الأرض بالطباشير، يُقسم غالبا الى ثمان أو تسع مستطيلات صغيرة تكتب فيها الأرقام، وتقوم اللاعبات بالوقوف على رجل واحدة وركل العلبة بها (علبة فارغة من غُلب منظف الأحذية أو حجرة مسطحة ان لم تتوفر أي علبة) من المستطيل الأول الى الثاني ثم الثالث وهكذا، القدم الثانية تكون مرفوعة عن الأرض بحيث لا تلامسها أبدا، واذا توقفت الفتاة أو العلبة فوق الخط الذي يفصل بين المستطيلات تخسر اللعبة وتحل زميلتها مكانها.

- "لعبة خالوطة":

هي لعبة ذات هدف اجتماعي تلعب فيها الفتاة دور ربّة البيت في تقليد لأمهاتهن، تجلب فيها المشاركات ما يستطعن جلبه من بيوتهن من غُلب حديدية فارغة (تستعمل كأداة للطهي) وما تيسر من بقايا الطعام وغيرها من المواد البسيطة كالخضروات (حبة بطاطا، حبة طماطم، جزرة...)، ماء، ملح، زيت، ملعقة، سكين غير حاد، صحون (غالبا ما تكون بلاستيكية أو زجاجية صغيرة يمكن الاستغناء عنها

إذا انكسرت)....يقمن بتقطيع الخضروات وخلطها وحتى طهيها في بعض الأحيان، يحدث هذا في جو من التعاون والمتعة والمنافسة فكل واحدة تحاول أن تبدي مهارتها في الطهي، سُميت ب"خالوطة" لأنها تُكوّن من خليط من المكونات وفي أغلب الأحيان تُرمى ولا تؤكل.

- "لعبة العرائس":

تقوم مجموعة من الفتيات بصنع "منازل" أغلبها من علب الأحذية ينزع منها الجزء العلوي (والذي يمثل سقف المنزل)، يتم ترتيبها من الداخل بمواد جلبها (علبة كبريت فارغة تغلف بقماشة فتشكل مقعدا، علبة بلاستيكية صغيرة تشكل مائدة...) ويُرتب بها حجرات ومطبخ المنزل. وبعد الترتيب تنتقلن الى صناعة الدمى، وتستخدم لذلك أدوات جد بسيطة متمثلة في عمودين، تربط مع بعض بالتعامد ممثلة صليب، حيث يكون العمود الأفقي أقصر (يمثل اليدين) من العمودي (الجزء السفلي من الجسم). ثم يُغلف الهيكل بقطع قماشية مشكل جسد الدمية، أما عن الرأس فيتشكل من قطعة قماش بيضاء تُحشى بالقليل من القطن أو الصوف ثم تربط على شكل كرة صغيرة تثبت أعلى الهيكل بعدها تُرسم عليها ملامح الوجه (العينين، الأنف والفم)، أما الشعر ولصعوبة تشكيله كُن يُغطين مكانه بعصابة الرأس مما يوحي بأن الشعر مغطى، ثم تُلبس العروس ألبسة تقليدية (بلوزة) الأمهات هُنّ من كُنّ يُخطئها غالبا (من بقايا ألبسة قديمة) وأحيانا تضاف إليها بعض الاكسسوارات لتزيينها. وقد كانت الباحثة من المحظوظات جدا فيما يتعلق بألبسة العرائس، فقد كانت قريبتها خياطة تتردد عليها الكثير من العرائس ومن يرافقتها وكانت تحصل على كل بقايا الأقمشة التي تخطئها، مما كان يجعلها تُبدع في هذا المجال ويجعل منافسة الأخريات لها صعبة جدا، فيلجأن إلى التقرب منها ومصاحبها حتى يحصلن على القليل مما كانت تملك.

ولصناعة الدمية الرجل يضاف عمود في الجزء السفلي للهيكل ويُحكم الصاقه حتى تتشكل رجلين ويسهل الباسه سروال، على عكس الدمية العروس التي هي غير ضرورية لان الجزء السفلي يغطى كاملا بقطعة قماش واحدة.

كان التنافس قائما بين الفتيات على من تُتقن صنع الدمية واجادة رسم الوجه حسن خياطة الثوب وترتيب المنزل.

بعد صناعة المنازل والتي كانت توضع متجاورة بالقرب من بعضها، تقوم الفتيات جعل عرائسهن تتزاورن في منازل بعضهن البعض، تتحاورن وتتسلين وتُقمن الولايم (الأعراس) وأحيان حتى تتخاصمن...

- "لعبة السارسو":

لعبة رياضية تخص الأولاد، يحتاج اللاعب كي يلعبها الى اطار حديدي مستدير (غالبا ما يكون اطار دراجة هوائية قديمة مجردة من جميع لوازمها) وعصا أو سلك حديدي منحنى الرأس، أين يمسك الفتى بالعصى ويستخدمها لدرجة الاطار وهو يركض الى نقطة معينة، والفائز هو من يصل قبل الآخرين دون أن يقع اطاره.

- "لعبة الرولة":

هي لعبة خاصة بالأولاد، وهي أيضا من الألعاب المنقرضة التي كانت تُصنع بإتقان من ألواح خشبية سميكة، تُجمع وتُسمر الى بعضها البعض مُكونة قاعدة يُجلس عليها، أما أسفلها فيؤتى بأربع اطارات صغيرة وسميكة (يؤتى بها من لوازم السيارات القديمة الغير نافعة) ثم توضع على حافتي الألواح وتُثبت جيدا مع القاعدة فتُصبح أشبه بقاعدة مُركبة، يجلس فوقها الولد ويقوم زميله بدفعها في البداية، لينطلق متدحرجا وحده وبسرعة اذا كان مكان اللعب منحدرًا.

"لعبة الواسطة":

يصطّف ثلاث أولاد في شكل استقامية واحدة ومن يكونا في الطرفين يقوموا بتبادل الكرة، أما من يكون في الوسط فيحاول الإمساك بها، وإذا حدث ذلك فإنه يأخذ مكان من مزر الكرة وهذا الأخير يأخذ مكانه.

- "لعبة البلوطة":

"البلوطة" في اللهجة المحلية تعني الكرة، وهي لعبة خاصة بالأولاد، اذ يصنعون كرة قدم من كيس حليب فارغ غالبا، يُحشى بكومة أوراق أو أكياس بلاستيكية فارغة ثم يربط الكيس جيدا ليُشكل كرة يلعبون بها .

- "لعبة الطيارة":

بمعنى الطائرة، هي لعبة خاصة بالأولاد أيضا، أين كانوا يقومون بصنع طائرات وذلك عن طريق الاتيان بقارورات بلاستيكية، يترع الجزء الذي يحوي سداة القارورة، تُقسم طوليا الى أجزاء متساوية مع الاحتفاظ بقاعدتها لانها هي ما يربط الاجزاء، تُسطح لتصبح أشبه بمروحة، يُثقب وسط القاعدة بمسمار ويوضع سلك مكانه يسهل لصاحبها حملها بواسطته والجري بها في مواجهة الريح، فتُصبح في حالة دوران مستمر ، تتوقف بمجرد توقف الولد عن الجري.

- "لعبة فُتحي يا وردة":

هي لعبة انشادية واستعراضية خاصة بالإناث، تشدّ فيها الفتيات أيديهن ببعض وتردّدن: "فُتحي يا وردة، اغلقي يا وردة" مستعملين حركة أيديهن لتجسيد افتتاح و انغلاق الوردة.

- "لعبة الكوردة":

"الكوردة" هي تحوير للكلمة الفرنسية "corde" بمعنى الحبل، هي لعبة خاصة بالبنات أكثر، تُلعب إما بشكل منفرد حيث يقفز الواحد فوق حبل يمسكه بكتلا يديه و يمرره من تحت رجله وإما بشكل جماعي، حيث يمسك اثنين طرفي الحبل ويقومان بلقّه وعلى اللاعب الثالث القفز حتى لا يعرقل الحبل ساقيه. وكلما زادت سرعة اللف تزيد اللعبة متعة.

هذه نماذج عن بعض الألعاب التي كنّا نمارس العديد منها في صغرنا وغيرها كثير، كانت في غاية البساطة ولا تحتاج الى لوازم باهضة، لا تُملّ أبدا رغم أن منها ما كان يُهك الجسد ف"هي نشاط جسعي وعقلي تؤدي بحركات معينة لها جذورها في ماضي الشعب ولكل لعبة رموزها وحركاتها تحقّق للطفل المتعة أثناء ممارسته لها خاصة عندما يتحقق فوزا أو ربعا رمزيا" (شريف، 2018، صفحة 7). كان الفناء والتحفيز المعنوي يعكس التفوق الرمزي في اللعبة، ممّا يفتح باب الابداع والابتكار من خلال بدل جهد أكبر في تصميم الألعاب وتطوير أشكال ممارستها.

كانت أغلبها تعتمد على معطيات الطبيعة أو معطيات متوفرة ولا يحتاجها أحد (مجانية) كالأقمشة البالية، الصوف، القطن، العظام، أغصان أشجار...، ولكنها كانت ممتعة ومسلية كثيرا. إذ يشعر الطفل بالحرية النسبية منذ أن يتعدّى الباب الخارجي للمنزل، فيركض ويقفز ويصيح ويتشاجر ويضحك....، ويختار اللعبة التي يريد الاشتراك فيها والدور الذي يتماشى مع قدراته بكل حرية،

فيشغل الشارع ويحوّله الى فضاء للتجارب والابداع ويفرض تواجد به، وأحيان حتى الزعامة تلعب دورها ضمن المجموعات والولاء يكون لهذه الجماعة على حساب الأخرى.

هذه الألعاب حتى وان تفردت في تسميتها إلا أن أغلبها يتشابه مضمونها في عموم الجزائر وحتى خارجها مما يجعلها تأخذ بعد عالمي أحيانا.

2. القيمة الاجتماعية والتراثية للألعاب الشعبية ومصيرها:

1.2. القيمة الاجتماعية للألعاب الشعبية:

لا يختلف اثنان على القيم التي تحملها ألعاب الأطفال الشعبية فهي لا تُعد ولا تُحصى و"ليس هناك شك في قيمة اللعب فقد وُجد أن الأطفال الذين كانت فرص لعيمهم واختلاطهم بغيرهم من الأطفال أثناء نموهم قليلة محددة، كانوا أقل تكيفا من الأطفال الذين تمتعوا بحياة اللعب الطبيعية" (عبدالعزیز و مضر، 1985، صفحة 11).

ومن خلال النماذج التي ذكرناها نلاحظ جيدا أن القاسم المشترك بينها يتمثل في أنها ألعاب جماعية اجتماعية، تمثل قبل كل شيء "اللعب مع الآخر" وسط تفاعلات متبادلة، تُلعب أزواج أو مجموعات، فتُشكل وسط اجتماعي يلائم نمو الطفل الاجتماعي والنفسي والعقلي والبدني و"عندما يخرج الطفل من المنزل الى العي والأقران، يجد عالما مليئا بالمتغيرات، حيث يجد محيطا من الأقران والشباب، يتطلب منه أن يسلك وفق قواعده، وإلا رفض أو تعرض للأذى وليس أمامه إلا الانصياع للجماعة، فيبدأ بتكوين علاقات مع أقرانه من أبناء العي من خلال اللعب، وما يربطه بهم ضرورة فهمه لقواعد اللعب حتى تتقبله الجماعة" (محمد، ربيع 2009، صفحة 51). لذلك فتفاعله مع الآخرين هو ما يساهم في تعميق روابطه الاجتماعية فيمّر بخبرات وقيم واتجاهات حية، يُدرك من خلالها معاني الأشياء وكيفية التعامل مع الآخرين وكيف يتصرف كعضو في جماعة، على أساس ادراكه الفطري لما هو مشترك بينه وبين المجتمع.

وتدخل الألعاب الشعبية في تشكّل شخصية الأفراد أيضا، فتدمجهم في ثقافة المجتمع من خلال التعارف وتكوين صداقات وادراك للقيم والمعايير الاجتماعية، وتقول المربية السوفيتية (ن. ك. كروبسكايا): "أن الطفل يُكوّن أصدقاء من خلال اللعب ويبدأ في تعلم بعض العادات والقيم الاجتماعية في لعبه معهم وتظهر روح التعاون بين أفراد اللعبة الواحدة ويكتسب الطفل معارف جديدة تنمي ذكاءه الاجتماعي" (نخلة، 2012، صفحة 88) كما تُنظم ادراكاته وتضبط سلوكه وفقا لما يُتوقع منه، ويتعلم المحرمات (كالغش في اللعب) والاعتراف بحقوق الآخرين (في حال خسر في اللعبة مثلا). زيادة على سمة

التنافس التي يكون لها عميق الأثر في العلاقات الاجتماعية فيما بعد، فتزيد عزيمة الطفل واصراره على الفوز من تنمية معارفه ومكتسباته وقدراته سواء البدنية أو الذهنية.

كما يتعود الطفل أيضا من خلال اللعب الجماعي على الاعتماد على نفسه وتساعده على الدفاع عن نفسه والمنافسة المستمرة، بعضها يُعلّم الجرأة والشجاعة، وبعضها ينمي مهارات التفكير، البعض يزيد من المهارات الحركية، والآخر يدرّب على تقبل الهزيمة بكل روح رياضية، ومنها ما تعلمه الصبر والمثابرة ف"ذات الطفل ومكونات شخصيته العقلية والعاطفية - اللغوية والحركية وغيرها، لا تنمو إلا في وسط اجتماعي ملائم لتلك المرحلة، لذلك لا تخلو أية جماعة أو شعب من موروث ثقافي متكامل خاص بالطفل" (محمد، ربيع 2009، صفحة 44).

هذه كلها قيم اجتماعية تحول الفرد الى كائن اجتماعي، كما أن المجتمعات تُبنى بالقيم الاجتماعية والأخلاق، وهي الرابط الذي يربط المجتمع وأفراده ببعضهم البعض. وباحترامهم واتباعهم لهذه القيم ينتشر السلام والاستقرار في المجتمع، كما يزيد تماسكه وترابطه. اضافة إلى أن القيم الاجتماعية هي التي تضمن ازدهار المجتمعات وتطورها، والمجتمع الجزائري يولي اهتماما بالغا لقيمه الاجتماعية التي لا تنفصل عن مفهوم الأخلاق ومحدداته، فهي التي تضبط السلوكيات البشرية وتحدّد وجهتها العامة والخاصة.

2.2. القيمة التراثية للألعاب الشعبية:

يُعتبر التراث عامة بأنه من الخصائص البشرية العميقة الجذور التي تنتقل من جيل الى آخر وتبقى متواصلة، وتُشكّل الألعاب الشعبية جزءا لا يتجزأ من التراث الثقافي والشعبي، "تشكل الألعاب التقليدية في الجزائر كما هو الشأن في باقي الأمم ذات العمق التاريخي، إحدى الركائز المحددة للشخصية الجزائرية ويُعدّها التاريخي وأحد المعالم والشواهد للتراث والحضارة الوطنية كما انها تُشكّل الدرع الواقي والاسمنت المسلح من طمس ومسح الهوية كما أصبحت الألعاب التقليدية على المستوى الدولي من الوسائل الناجحة لتواصل الأمم والحضارات" (الاتحادية الجزائرية لكرة اليد، 2010، صفحة 2).

لذلك فإن التقارب بين الثقافة واللعب يحيلنا الى اعتبار الألعاب الشعبية إنتاج ثقافي اجتماعي لبيئة اجتماعية محددة، يمكن من خلالها الكشف عن الخصائص الثقافية للمجتمع الذي يمارسها، فهي تتناول بصورة مباشرة عادات المجتمع وقيمه وتقاليده، وبما أن الألعاب الشعبية هي موروثات تعدّ من أولى مظاهر النشاط الانساني وأقدمها، فإنها لا محالة تعكس طبيعة وأسلوب العيش الذي كان متواجدا.

والواقع أن العديد من الألعاب التقليدية تمكّنت من عبور الأزمنة والأمكنة بالحد الأدنى من التحوير والتغيير، وهذا دليل على انتقالها من جيل لآخر كثرة ثقافية تراثية استندت المحافظة عليها، ولعبت في الجزائر دورا مهما في تأطير الموروث الشعبي الممتد في تاريخها العميق، فساعدت على انتقال العادات والتقاليد الجزائرية والمعارف الانسانية بصورة تلقائية عبر الأجيال مُكونة ثقافة شعبية مُتشعبة بالمعاني والقيم والدلالات الاجتماعية والتراثية التي تؤكد في كل مرة على أهمية الانتماء الى الوطن. ممّا عزّزت الروح الوطنية وحفزت قدرة الجزائري الإبداعية من خلال معرفته بما خلفه له من سبقوه.

3.2 مصير الألعاب الشعبية:

ان الانتشار الواسع للألعاب الإلكترونية من قبل الأطفال في اللعب في الوقت الراهن، أصبح يثير التساؤل والقلق من قبل المربين والأولياء وعلماء النفس وعلماء الاجتماع حول آثارها الصحية أو النفسية أو الاجتماعية، فهي تحث على الانعزال والعنف وتشجع على التمرد على قيم المجتمع الجزائري بحكم أنها مستوردة تنقل ثقافات غريبة.

كما أدّى هذا الانتشار أيضا الى اختفاء العديد من الألعاب الشعبية بسبب هذه البدائل الجديدة المواكبة للتغيرات المجتمعية وللتطورات العالمية

ورغم القيم الحميدة والعديدة للألعاب الشعبية (التي ذكرنا بعضها منها) إلا أن مساحتها ضاقت وأصبح حالها ما بين الندرة والانقراض تماما، إذ لم تعد تمارس وأطفال اليوم لا يعرفونها، فلم يعد لها مكان في عصرنا الحالي أمام سيطرة الألعاب الالكترونية، أين أصبح كل طفل منشغلا بمفرده بالهاتف النقال أو اللوحة الذكية....، ما حطم الروابط الاجتماعية وأدى إلى المزيد من العزلة بين الناس.

كما أن أغلب الآباء أصبحوا لا يسمحون لأبنائهم باللعب مع أصدقائهم خارج المنزل خوفا عليهم من الاختطاف خاصة مع انتشار هذه الظاهرة بالجزائر، أو الآفات الاجتماعية كالتدخين وتعاطي المخدرات، أو التحرش الجنسي وغيرها كمصاحبة رفقاء السوء، لذلك يشتركون لهم ألعابا الكترونية يشغلونهم بها.

لكن هذه الألعاب رغم أنها تشغل الطفل وتحميه من هذه الآفات، إلا أن لها الكثير من المخلفات السلبية ومن نواح عدّة، فهي تُبعد الطفل المنشغل بها عن بقية أفراد الأسرة وتجعله يعيش في عالم افتراضي بعيد عن الواقع، كما تقلص الحوار والاتصال ما بين الأولياء وأبنائهم ممّا أوجد جيل "غير اجتماعي" منطو على نفسه، محروم من التفاعل التلقائي مع غيره و"التفاعل هو بالدرجة الأولى

تبادل وهو شرط أساسي للحديث عن الجماعة الأولية الصغيرة التي من الضروري أن يتشابه أعضاؤها في الأهداف والاتجاهات" (Kaufmann & Kurt, 1968, p. 132).

زيادة على المشكلات الصحية كتقوس الظهر والسمنة ومشاكل في البصر بسبب الأشعة الكهرومغناطيسية المنبعثة من شاشات وأجهزة اللعب المختلفة، خلافا للألعاب الشعبية التي كانت تُمكن الطفل من تنمية قدراته العقلية عن طريق توظيف أفكاره وتوسيع خياله في تحويل أشياء بسيطة إلى لعبة يستفيد منها وبذلك تحفز التفكير وتنشط البدن إذ كانت تجعله في حركة دائمة، كما أن غزو الألعاب الالكترونية بمختلف الأحجام والألوان والعلامات التجارية، وقّرت على الطفل عناء صنع لعبة مهما كانت بساطتها فحرمته من تنمية روح الابداع، اضافة الى أن ممارسة هذه الألعاب ذات مضامين العنف تقوي ارادة الطفل على القيام بسلوكات عدوانية ضد الآخرين وضد نفسه أحيانا.

خاتمة:

تُعد الألعاب الشعبية ظاهرة اجتماعية عرفتها جميع الشعوب، والجزائر من بين هذه الشعوب لم تحمل ألعابها فوائد بدنية ونفسية فقط وإنما أسهمت ممارستها في تعزيز مفهوم الثقافة الاجتماعية، من خلال القيم المجتمعية التي حرصت على تحقيقها والمحافظة عليها، كما أسهمت وبشكل رئيسي في ترميم التراث الشعبي الجزائري المعروف بتنوعه وتفرعه وغزارة مادته ممّا فتح المجال واسعا للاطلاع على تفاصيل الحياة الاجتماعية التي كانت قائمة.

لذلك من المهم الالتفات إلى الموروثات الجزائرية والاطلاع عليها، أين تُشكل الألعاب الشعبية جزءا مهما من رصيدها التراثي، كما ينبغي على كل مجتمع أن يطلع على حضارته وتراثه وأن عدم الاهتمام بالموروث الثقافي لأي بلد يؤدي إلى حدوث قطيعة مع جذوره وذاكرته.

اضافة الى أن أهمية الموروث الثقافي تستوجب حمايته من الاندثار من خلال مجموعة من الوسائل والطرق التي تحافظ على التراث، ليس من الحوادث أو العوامل المناخية مثلا، بل من الجهل والنسيان أيضا، والذي يؤدي الى اتلاف بعض الموروثات مثلما يحدث مع الألعاب الشعبية حاليا، فجهل الأطفال بوجودها وزيادة على وجود بدائل حرم الأطفال من التفاعل العفوي مع موروثهم الانساني الممتد منذ أجيال.

وحتى وان اندثرت هذه الألعاب على أرض الواقع فيجب أن لا تتوقف محاولات توثيقها.

قائمة المراجع:

- أحمد علي الحاج محمد. (ربيع 2009). أغاني الأطفال الشعبية ومضمونها التربوي في مملكة البحرين. *مجلة الثقافة الشعبية* (العدد الخامس).
- أشرف سعد نخلة. (2008). *أطفالنا هل نفهمهم*. القاهرة. مركز الاسكندرية.
- أشرف سعد نخلة. (2012). الألعاب الشعبية في مصر والدول العربية. *مجلة الثقافة الشعبية* (19). الاتحادية الجزائرية لكرة اليد. (2010). *الجرد الوطني الأول*. الجزائر. *مجلة الألعاب والرياضات التقليدية*.
- الزغبي أحمد شريف. (2018). *الالعاب الشعبية الأردنية* (المجلد ط1). الاردن. دار يافا العلمية.
- النهام عبد العزيز، و عيسى علي مضر. (1985). *المختار من الألعاب الشعبية للأشبال*. الجزائر. ادارة شؤون الطباعة وزارة التربية.
- حسام محسن. (فبراير، 2010). *الألعاب الشعبية المصرية*. *مجلة الهلال*.
- هوغيت هاغلار. (1999). *علم النفس المدرسي*. (فؤاد شاهين، المترجمون) بيروت. موسوعة زدني علما.
- Kaufmann, P, & Kurt, L. (1968). *Une théorie du camp dans les sciences de l'homme*. Paris: VRIN.